

في الأدب الفارسي

نظرات في الأدب الفارسي

منذ نشأته إلى إغارة التار
للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٢ -

يروى عن الرودكي أنه نظم شعراً كثيراً جداً بقدره بعضهم بألف ألف بيت . وأنه نظم كلية ودمنة ، ولكن ليس عندنا من شعر الرودكي كله إلا قطع منها نحو ٢٤٢ رباعية ، ومن الحكايات المأثورة المشهورة عن هذا الشاعر ما ذكره نظامي العروض ، أن الأمير نصر بن أحمد خرج بجيشه إلى هراة فأعجب بهواها وتلذذ بها ، ونفى بتردد في أرجائها أربع سنين حتى ضاق السكر فترد ، وقد بضطعوا صبراً عن أوطانهم وأولادهم ، فذهبوا إلى الرودكي وجعلوا له خصة آلاف دينار على أن ينظم شعراً يشوق الأمير إلى بخارى . فنظم قصيدة وجاء الأمير وهو يصطحب ، يتدها على أنزهر فأتتهم الأبيات حتى نهض الأمير مسرعاً إلى وره لا يبصر حتى يلبس خذاه ، وتوجه إلى بخارى لا يلوى على شيء . فتريدركه الناس إلا بعد فرسخين ، وهناك تقدم له الخذاه فلبسه .

وأول هذه الآيات :

بغري جرى سولجان آيد هي

بغري يا لهربان آيد هي

ما يزال جيب عليا قسم نهر جيحون

وما يزال نشق على بعد روح الأحياء .

نحوه يروي عن الرودكي شعر من نوع الدوبيت أو الرباعي . وهو ضرب فارسي . فهذا أول شعراء الفرس ينظم على أنساب العرب وعن أسلوب آخر . وهذا ينبغي . بما سيكون عليه الشعر الفارسي الحديث من الجمع بين الصفتين العربية والفارسية . ثم نجد هذا الشاعر يسبق إلى نظم القصص ، إذ نظم كلية ودمنة . وهذه ميزة أخرى من مزايا الشعر الفارسي كلف

ها الشعراء من بعد .

روى الشعر من بعد الرودكي وألقى الشعر على الرمز حتى

بلغ عاقبه

شجع السامانيون الأدب الفارسي . ولمنصور من نوح منهم شعر فارسي . فضع في أيامهم شعراء بقاربون الثلاثين . ثم شرعوا يؤلفون ويترجمون الكتب من العربية إلى الفارسية . فترجم تاريخ الطبري وتفسيره . وألف لهم بالفارسية كتاب أبي منصور والمروزي في الطب . ومنه نسخة مخطوطة في فينا . وهي أقدم مخطوط فارسي (سنة ١٤٤٧ هـ) وألف لهم كذلك كتاب في التفسير . فهذه الكتب الأربعة أقدم أثر فارسي بأيدينا . وأما بقية غيره فليس لهم أثر في الأدب الفارسي ، وأكثر أمرائهم كانوا شعراء في العربية . ووزيرهم ابن العميد ، والصاحب من حله لواء الأدب العربي . لا الفارسي ، وحبنا أن الصاحب لم يقصده به إلا شاعران فارسيان هما المظفي والخسروي . على كثرة شعراء العربية الذين مدحوه .

وكان الزبيريون في طبرستان من حاة العلوم والآداب . ولكن شيخهم قابوس كان أميل إلى العربية ، وقد مدحه الخسروي السرخسي من شعراء الفرس . كما اتصل بابنه منزه الشاعر الفارسي الذي سمي نفسه منزهي تبعاً لبيه . وقد ألف كيكادس حفيد قابوس كتابه قابوس نامه بالفارسية لتربية ابنه .

وكان من المتصلين بقابوس أبو علي بن سينا ، وله شعر بالفارسية . وقد ألف كتابه دانش نامه علائق بعدد مائة قابوس . فأعداه إلى علاء الدولة أبي جعفر كاكوبد في أصفهان وسماه باسمه .

وكان محمود بن سبكتكين في غزوة مقصد كبار الأدباء والعلماء . وأثر عنه وعن ابنه محمد شعر فارسي . فمن شعرائه المنصري والاسدي . والمسجدي . والفردوسي الذي قدم له الشاهنامه . فلم يعطه محمود ما أراد فغاضبه وهجاه . وقد ألف شرف الملك من شعراء محمود كتاباً في الديوان بالفارسية سماه كتاب الأصفهان . ويقال إن البستي من شعراء محمود أيضاً كتب تاريخ محمود بالفارسية . وكتب البيروني كتاب التمهيد في النجوم بالفارسية والعربية .

وفي عصر السلاجقة ، ذلك العصر المديد بلغ شعراء كثيرون جداً عددهم عدنى أكثر من مائة - وأعظمهم الأحررى والمنقانى نظامى الكنجرى ، والأزرق ، وظهير الغارىانى ، وناصر خسرو والحيام ، وبابا طاهر ، والفصحى ، ومسعود - مدد ، والأديب صابر ، والمعزى ، وعمق البخارى ، وسوزن - ونظامى الغروض ، ومن الصوفية : أبو سعد بن أبى الخير ، والأنصارى - ثم مجد الدين سائق ، وفي نهاية هذا العصر فريد الدين العطار .

ولاريد أن هذا العصر أزهى عصر الشعر الفارسى - ومن المؤلفين والكتاب فى هذا العصر نظام الملك الوزير مؤلف سياستنامه ، والفزالى والسجوى الفرخى مؤلف ترجمان البلاغة فى الشعر والصناعات الديقية ، والرشىدى السمرقندى مؤلف زينت نامه فى علم الشعر - ورشد الدين وطواط مؤلف الكتاب الذائع الصيت : حقائق الشعر فى دقائق الشعر ، والبرامى مؤلف غاية العروضيين وكنز القافية ، والاسدى مؤلف لغة الفرس ، وشاهر دامه بن أبى الخير مؤلف الموسوعة ، نزهة نامه للانى ، الفها لعلاء الدولة ، وخاص بك أمير طبرستان آخر القرن الخامس ، والباخرزى مؤلف دمية القصر ، ومؤلف طرب نامه وهى رباعيات فارسية ، وأبو المعالى محمد بن عبيد الله مؤلف كتاب بيان الأديان فى آخر القرن الخامس - ومن مؤلفى الصوفية المجرى صاحب كشف المحجوب وهو من أقدم الكتب الصوفية ، ألف فى القرن الخامس . ومن المترجمين من العربية الى الفارسية ، الجرباذقانى ، ترجم تاريخ العنى للفارسية . وجبال القرشى مترجم الصحاح ، وفراهى الذى نظم قاموساً عربياً فارسياً يقرأ فى مدارس إيران حتى اليوم . والروزقى الذى كتب معجماً عربياً فارسياً سماه ترجمان القرآن ، ونصر بن عبد الحميد مترجم كلية ودمنة .

وفي العصر القصير الذى بين السلاجقة والمغول نجد من الشعراء العطار وجلال الدين الرومى وسعدى الشيرازى وغيرهم . ونجد من المؤلفين ابن اسفنديار مؤلف تاريخ طبرستان . وغير الدين الرازى مؤلف الاختبارات العلائية ، ونصير الدين الطوسى ، وشمر قيس مؤلف المعجم ، ومحمد عمرفى مؤلف لباى الآداب . هذه نظرة عامة غير شاملة ولا بالئة . ترىنا كيف بدأ الأدب الفارسى شعراً وشراً . وكيف توالى مع الدول المختلفة - ويكفى هنا أن يقال إن لباى الآداب يحتوى على ٢٧ ملكاً منظوماً بالفارسية و٢٣ وزيراً ، و ٦٠ عالماً ، ويذكر من الشعراء تسعة وثلاثين ومائة . ولأجل أن نذكر على حظ الأقطار المختلفة من هذا العدد نقول : أن خراسان وهى مهد الأدب الفارسى الحديث يناها ٣١ من العلماء الذين نظموا بالفارسية و ٥٥ من الشعراء . وما وراء النهر ١٣

من العلماء ، و ٢٢ شاعراً . والعراق ١٦ من العلماء ، و ١٦ من الشعراء . وغزنة ومايلها ٢٢ شاعراً . خراسان أوفرها حظاً .

بعد هذا يحق لنا أن نسال ما مميزات هذا الأدب الفارسى الاسلامى فى الشعر والنثر ؟

فأما الشعر فيشارك الشعر العربى فى موضوعه من المهجاء والمدح والغزل والفخر والرصف . فى ميل الى المبالغة . ويتناز بأشياء :

(١) ذكر ملوك الفرس القدماء ، وإظهارهم مثل فريدون ورستم ، وزال ، وكاشى جشيد ، وقد سرى هذا الى الشعر العربى الذى نظم فى بلاد الفرس كشعر بديع الزمان وأمثلة .

(٢) يمتاز الشعر الفارسى بميزتين عظيمتين : الشعر القصصى والشعر الصوفى .

فأما الشعر القصصى فقد أولع الفرس به فى كل عصر . وقد رأينا أن أبان بن عبد الحميد نظم كتاب كلية ودمنة بالعربية . وأن الرودى أول شعراء الفرس الكبار نظم هذا أيضاً . ومن الأدلة على ولع الفرس بالقصص قصة يوسف وزليخا ، فهذه القصة مأخوذة من القرآن . ولكن شعراء العرب لم يهتموا بها . وأما الفرس فقد نظموا مراراً ، نظمها من كبارهم الفردوسى وجامى . ونظمها آخرون - ورواية وامق وعذراء التى قيل انها قدمت لبيد الله بن طاهر فأمر بطرحها فى الماء : نظمها المنصرى شاعر محمود الغزنوى ، ثم الفصحى فى رعاية كيكادس الزيارى ونظمها أربعة شعراء آخرون .

وحيثما شاهنمه الفردوسى التى حاكها شعراء كثيرون فالنرا شاهنامات لم تمل ماناكة من القبول والصيت : ومن القصص المنظومة رواية خسرو وكل ، ولبيل نامه لفريد الدين العطار . وسلامان وايال لمولانا جامى وغيرها مما لا ينفع المقال لتعديدها . وأما الشعر العموفى فقد بدأه أبو سعيد بن أبى الخير من بلدة منهاق خراسان ، وأبو عبد الله الأنصارى من هراة . نظما فيه قطعا ورباعيات ، ولكن لم يكثر فيه التأليف الا بعد مدة طويلة . اذ نبغ طليعة فرسانه سنا ، الغزنوى ثم قفاد العطار ثم تلاه إمام الصوفية مولانا جلال الدين الرومى صاحب المشوى الذى يسمى القرآن فى اللغة الفارسية . ويقال لمؤلفه لم يكن نبياً ولكن أوتى كتاباً .

ومن بعد غارات التاريخ لسان الغيب شمس الدين حافظ الشيرازى والشيخ عبد الرحمن الجامى الذى يعد آخر شعراء الفرس العظام . والحق أن اللغة الفارسية تذا سائر لغات العالم هذا النوع من الشعر النفسى الانسانى الفلفسى الذى يرتفع عن جدال المذاهب وعصيات الاجناس . وينفذ الى بواطن الاشياء . فيرى الرعدة الالهية المتجلية فى مظاهرها العديدة ؟ (يتبع)